سراري رسول الله ﷺ

كان لرسول الله ﷺ أربع ولائد :

١ - مارية

٢ - وريحانة

٣ - وجميلة

٤ - ونفيسة

obeikandl.com

obeikandl.com

وأما سراريه ﷺ ، فروى ابن أبي خيثمة عن أبي عبيدة معمر بن المثني قال : كان لرسول الله ﷺ أربع ولائد : مارية ، وريحانة ، وجميلة ، ونفيسة .

الأولى

مارية القبطية

هي بنتُ شَمْعُونَ أمُّ وَلَدِهِ إبراهيمَ أهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والإسكندرية سنة سبع من الهجرة ، وبعث معها أختها سيرين بنت شمعون ، وخصيًا يقال له مأبور ، وألف مثقال ذهبٍ ، وعشرين ثوباً من قباطي مصر ، وبغلة شهباء وحماراً أشهب وهو الذي يقال له يعفور ، وعسلاً من عسل بِنْها - بباء مكسورة فنون ساكنة - قرية من قرى مصر بارك النَّبيّ ﷺ في عسلها لمَّا أعجبه ، - والناس اليوم يفتحون الباء - فأسلمت ، وأسلمت أختها . وكانت مارية بيضاء جميلة أنزلها رسول الله ﷺ بالعالية ، وكان يختلف إليها إلى أن ماتت في المحرم سنة عشر[1] .

---

(١) المواهب اللدنية [١/٤١٨] .
وروى أن رسول الله ﷺ لمَّا رجع من الحديبية ، سنة ست بعث ستة نفر ، ثلاثة مصطحبين ، حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر ، ودحية الكلبي إلى قيصر . فخرجوا حتَّى انتهوا إلى وادى القرى[1] فسلك حاطب إلى المقوقس بكتاب من رسول الله ﷺ فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلامٌ على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإني أدعوك بداعية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإنْ توليت فإنَّ عليك =

---

(١) وادي القرى : يقع بين تيماء وخيبر على الطريق من المدينة إلى الشام ، وكان من أعمال المدينة ، وقد سمي بذلك لأنه من أوله إلى آخره قرى منظومة . [معجم البلدان] .

وروى البزار والضياء المقدسي في صحيحه عن علي رضي الله تعالى

= إثم القبط ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] . وختم الكتاب[1] .

فخرج به حاطب حتّى قدم الأسكندرية ، فانتبذ إلى حاجبه ، فلم يُلبثه أن أوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ فقال خيراً ، وأخذ الكتاب فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية ثُمّ دعا كاتبا له يكتب بالعربية ، فكتب إلى النّبيّ ﷺ بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي ، وقد كنت أظن أنّه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وكسوة ، وقد أهديت لك بغلة تركبها ، والسلام »[2] .

ولم يزد على ذلك ولم يسلم ، وأهدى النّبيّ ﷺ بغلة بيضاء ، فبقيت حتّى كان زمن معاوية ، وأهدى له مارية وأختها سيرين أنزلهما رسول الله ﷺ على أم سليم بنت ملحان ، وكانت جارية وضيئة ، فعرض رسول الله ﷺ عليهما الإسلام فأسلمتا ، فوطيء رسول الله ﷺ مارية وحولها إلى مالٍ له بالعالية ، وكان من أموال بني النضير فكانت فيه في الصيف وفي خرافة[3] النخل ، وبني لها منزلاً فكان يأتيها فيه ، وكانت حسنة الدين ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن .

وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّها قالت : ما غرت على امرأة إلّا دون ما غرت على مارية ، وذاك أنّها كانت جميلة من النساء وأعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها من أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا فكان عامة النهار والليل عندها حتّى قذعنا[4] لها فجزعت نحولها إلى العالية وكان يختلف =

(١) وقد أورد الكتاب كل من ابن عبد الحكم في فتوح مصر والقسطلاني والقزويني والسيوطي والزيلعي والقلقشندي . [محمّد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص : ١٠٥-١٠٦] .

(٢) أورد هذا الكتاب ابن عبد الحكم والقسطلاني والقلقشندي وآخرون . [انظر محمّد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية ص : ١٠٧] وفيه « رسلك » بدل « رسولك » .

(٣) الخرافة : ما يجتني من الفواكه في الخريف . والمقصود أنّها تقيم فيها في الصيف والخريف .

(٤) قال الدكتور أكرم ضياء العمري : في الأصل « فرغنا » وفي الإصابة [٨/ ١٢] « فزعنا » والقذع : الشتم ، والمقصود أنّهنّ لم يتلطفن معها بالكلام ، وكنّ شديدات عليها ، ويظهرن لها الجفوة بالكلام وحاشاهنّ أن يشتمن بفاحش القول .

عنه قال : كثر على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها هو مابور المذكور كان يزورها فيختلف إليها .

= هناك فكان ذلك أشد علينا ، ثُمّ رزق منها الولد وحرمناه منه [١] .
وروى أن رسول الله ﷺ كان معجبا بمارية ، وكانت بيضاء جعدة جميلة فأنزلها رسول الله ﷺ بالعالية بالقف في الدار الّذي يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم [٢] ، كان يختلف إليها هناك ، وضرب عليها الحجاب وكان يطأها فحملت ، فوضعت هناك إبراهيم ابنها ، وكانت قابلتها سلمي مولاة النّبيّ ﷺ امرأة أبي رافع ، فأخبرته ، فخرج فبشر النّبيّ ﷺ فوهب له عبداً ، فلمّا كان يوم سابعه عقّ عنه بكبش وحلق رأسه ، حلقه أبو هند ، وسماه يومئذ ، وتصدق بوزن شعره على المساكين ورقاً ، وأخذوا شعره فجعلوه في الأرض مدفوناً ، فتنافس فيه نساء الأنصار من ترضعه منهنّ ، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي ﷺ لمّا يعلمون من هواه فيها .
وكانت لرسول الله ﷺ قطعة من غنم ترعى بالقف ولقاح بذى الجدر[٣] تروح عليها . وكانت تؤتى بلبنها كل ليلة فتشرب منه وتسقى ابنها ، فكان جسمها وجسم ابنها حسنا ، فجاءت أم بردة بنت المنذر بن يزيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن ميذول بن عمرو بن غنم ابن مازن بن النجار ، فكلمت رسول الله ﷺ أن ترضع إبراهيم فأعطاها إياه ، فكانت ترضعه بلبن ابنها ، فكان عندهم في بني مازن بن النجار وترجع به إلى أمه مارية ويأتى رسول الله ﷺ بيت أم بردة فيقيل عندها ، ويؤتى بإبراهيم إليه ، وكان رسول الله ﷺ يصلها به ، وأعطي أم بردة قطعة من نخل ، فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زَمعة ، وتوفى إبراهيم في بني مازن عند أم بردة وهو ابن ثمانية عشر شهراً [٤] . فقال رسول الله ﷺ : إن له مرضعة تتم =

---

(١) أخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/ ٢١٢-٢١٣] عن حديث عائشة رضي الله تعالى عنها بإسناد آخر من طريق الواقدي .

(٢) مشربة أم إبراهيم معروفة بالعالية ، وبئرها داخل مسجد المشربة الّذي يقع الآن وسط مقبرة مسورة ، وهو مهجور ، وتبعد المشربة نحو ثلاثة كليو مترات عن المسجد النبوى من جهة الجنوب الشرقي منه . [العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ٤٢٦-٤٢٨] .

(٣) ذو الجدر : مرعي على ستة أميال من المدينة بناحية قباء ، كانت فيها لقاح رسول الله ﷺ تروح عليه إلى أن أغير عليها وأخذت . [معجم البلدان] .

(٤) في مصنف عبد الرزاق [٧/ ٤٩٤] « ستة عشر شهراً » وقال الحافظ ابن حجر : « جزم الواقدي بأنه مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر » .
وقال ابن حزم : مات قبل النّبيّ ﷺ بثلاثة أشهر .
واتفقوا على أنّه ولد في ذي الحجة سنة ثمان . فتح البارى [٣/ ١٧٤] .

Obeikandl.com

فقال لي رسول الله ﷺ : « خذ هذا السيف فانطلق به فإنْ وجدته عندها فاقتله » .

قال قلت : يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يسبقني شيء حتّى أمضي لمّا أمرتني به ؟ أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟

= رضاعه في الجنة [١] ، وغسلته أم بردة وحمل من بيت أم بردة على سرير صغير ، وصلى عليه رسول الله ﷺ بالبقيع ، فقيل له : يا رسول الله أين ندفنه ؟ قال : عند فرطنا [٢] عثمان بن مظعون ، وكان عثمان أول من دفن بالبقيع .

وتوفى رسول الله ﷺ ومارية في ملكه ، فعتقت فاعتدت ثلاث حيض بعده ، وكانت في مشربتها ينفق عليها أبو بكر حتّى توفى ، ثُمّ ولي عمر فكان يصنع مثل ذلك حتّى توفيت في أول خلافة عمر لسنتين من خلافته في شهر رمضان ، فرثي عمر بحشر الناس إلى شهودها ، ثُمّ حطوها من منزلها ، حتّى وضعوها ببقيع الغرقد ثُمّ صلى عليها عمر وقبروها بالبقيع .

وروى أن رسول الله ﷺ قال في أهل الذمة : أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فإنّ لهم نسباً وصهرا ، قال عمر مولى غفرة : نسبهم أن أم إسماعيل النّبيّ منهم وصهرهم أن رسول الله ﷺ استسرّ منهم .

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل هاجر وهي أم العرب من قرية كانت أمام الفَرَما [٣] .

وأم إبراهيم مارية سرية النّبيّ ﷺ التي أهدى له المقوقس من حَفْن من كورة أنْصِنا .

وروى أن إبراهيم ابن النّبيّ ﷺ توفى ، فخرج به ، وخرج النّبيّ ﷺ يمشي أمام سريره ، ثُمّ جلس على قبره ، ثُمّ دلى من قبره فلمّا رآه رسول الله ﷺ قد وضع في القبر دمعت عيناه ، فلمّا رأى أصحابه ذلك بكوا حتّى ارتفعت أصواتهم ، فأقبل عليه أبو بكر فقال : يا رسول الله تبكي وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال النّبيّ ﷺ : يا أبا بكر تدمع العين ، ويوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب . قال : ثُمّ دفن فقال النّبيّ ﷺ : هل من أحد يأتينا بماء نطهر به قبر إبراهيم ؟ قال : فأوتي بماء فرش على قبر إبراهيم ، ثُمّ وضع يده اليمني من عند رأسه ثُمّ قال : ختمت عليك بالله من الشيطان الرجيم .

وروى أن رسول الله ﷺ رش على قبر إبراهيم ابنه ، وختم عليه بيديه ، وقال عند رأسه : السلام عليكم .

من كتاب أزواج النّبيّ لابن زبالة ، رواية الزبير بن بكار [٧٣] .

---

(١) سيأتي تخريجه في باب بنات النّبيّ ﷺ .

(٢) الفرط : السابق .

(٣) الفرما : مدينة في سيناء على ساحل البحر المتوسط .

obeikandl.com

قال : « فافعل » . فأقبلت متوشّحاً السيف ووجدته عندها فاخترطت السيف ، فلمّا رآني أقبلت نحوه عرف أني أريده ، فأتى نخلة فَرَقَاهَا ثُمَّ رمى بنفسه .

قال قتادة : ثُمَّ شغر برجله فإذا هو أجبّ أمسح ماله قليل ولا كثير .

فغمدت السيف ثُمَّ أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : الحمد لله الّذي يصرف عنا أهل البيت[١] .

وروى البزار بسند جيد عن أنس قال : لمّا ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية جاريته وقع في نفس النّبيّ ﷺ منه شيء حتّى أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : السلام عليك أبا إبراهيم[٢] .

ووهب عليه الصلاة والسلام أختها سيرين بنت شمعون لحسان بن ثابت فهي أم ولده عبد الرحمن بن حسان كذا في سيرة الشامي ، إلّا قوله : وهب ، ففي المواهب[٣] .

وقال في الروض الأنف : أعطى عليه الصلاة والسلام حسّانًا جاريته سيرين بضرب صفوان بن المعطل له .

قلت : كان السبب في ضرب صفوان بن المعطل حسانًا بالسيف في وجهه ما كان من حسان من الخوض في حديث الإفك ، لأنّه المرمى به عائشة .

وذكر أن حسانًا عمى آخر عمره وكان سببه تلك الضربة من

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/ ٢٤٧، ٢٤٨] بنحوه ، ورواه الحاكم في المستدرك [٤/ ٤٠] وقال : صحيح على شرط مسلم . وسكت عنه الذهبي ،
وأجب أمسح بجبوب ، مقطوع الذكر . النهاية في غريب الحديث [١/ ٢٣٣] ، ورواه البزار [١٠٧٨-مختصر] وقال لا نعلمه عن النّبيّ ﷺ من وجه متصل إلّا بهذا الإسناد .
وقال ابن حجر : و إسناده حسن ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٣٢٩] وقال : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، ولكنه ثقة ، وبقية رجاله ثقاة .

(٢) رواه البزار [١٠٧٩-مختصر] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٣٢٩] وقال : رواه البزار ، وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/ ٢١٤] .

(٣) المواهب اللدنية [١/ ٤١٨] .

صفوان . فأعطاه عليه الصلاة والسلام سيرين أخت مارية هذه وهي أم عبد الرحمن بن حسان الشاعر ، وكان عبد الرحمن يفخر بأنه ابن خالة إبراهيم بن رسول الله ﷺ .

وقد روت سيرين عن النَّبيّ ﷺ حديثًا قالت : رأي رسول الله ﷺ خللاً في قبر ابنه إبراهيم فأصلحه وقال : « إنَّ الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه »[1] .

الثانية

ريحانة

وهي بنت شمعون أيضاً ، من سبي بني قريظة وقيل : من سبي بني النضير ، والأول أظهر ، وكانت متزوجة فيهم رجلاً يقال له الحكم ، وكانت جميلة وسيمة ، وقعت في سبي بني قريظة فكانت صفي رسول الله ﷺ ، فخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام ، فأعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشًا ، وأعرس بها في المحرّم سنة ست في بيت سلمى بنت قيس النجارية بعد أن حاضت حيضة ، وضرب عليها الحجاب ، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة فأكثرت البكاء ، فدخل عليها وهي على تلك الحال فراجعها ، ولم تزل عنده حتَّى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ، ودفنت بالبقيع ، وقيل : كانت موطوءة له بملك اليمين ، وهذا جزم به خلائق .

قال في المواهب[2] : وكان ﷺ يطؤها بملك اليمين ، وقيل : أعتقها وتزوجها .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير [٢٤/ ٧٧٦] ، وابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/ ٢١٦] ، والبيهقي في شعب الإيمان [٥٣١٢، ٥٣١٣، ٥٣١٤] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/ ١٦٥] : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما الواقدي وفي الآخر محمد بن الحسن بن زَبَالة ، وكلاهما متروك . وحسنه الألباني في الصحيحة [١١١٣] لشواهده .

(٢) المواهب اللدنية [١/ ٤١٨] .

الثالثة

جميلة

وأصابها من السبي ، فأكدنها نساؤه وخفن أن تغلب عليه .

الرابعة

نفيسة

وهبتها له زينب بنت جحش ، وكان هجرها - يعني زينب - في صفيّة بنت حيي ذا الحجة والمحرم وصفر ، فلمّا كان في شهر ربيع الأول الّذي قبض فيه النّبيّ ﷺ رضي عن زينب ودخل عليها فقالت : ما أدري ما أجزيك به ، فوهبتها له . كذا ذكره الشامي ناقلاً لكلام أبي عبيدة معمر بن المثنى[1] .

= وروى أن اسمها : ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة ، وأنها قالت : كنت تحت زوج محب لي مكرم ، فقلت لا أستخلف بعده ، وكنت ذات جمال . فلمّا سُبي بنو قريظة عرض السبي على رسول الله ﷺ فكنت فيمن عرض عليه فأمر بي ، وكان يكون له صفى من كل غنيمة . فلمّا عزلت خار الله لي ، فأرسل بي إلى بيت أم المنذر بنت قيس أياماً حتّى قتل الأسارى وفرق السبي ، فدخل رسول الله ﷺ عليّ ، فدعاني فأجلسني بين يديه . فقال : إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه .

فقلت : فإني اختار الله ورسوله .

فلمّا أسلمت ، أعتقني وتزوجني وأصدقني اثنتى عشرة أوقية ونشاً كما كان يصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يقسم لي كما يقسم لنسائه .

وكان رسول الله ﷺ بها معجباً ، لا تسأله شيئاً إلّا أعطاها إيّاه . لقد قيل لها : لو كنت سألت رسول الله ﷺ سبي بني قريظة لأعتقهم . فكانت تقول : لم يخل بي حتّى فرق السبي .

فلم تزل عنده حتّى توفيت مرجعه من حجة الوداع ، فدفنها بالبقيع ، وكان تزوجه إيّاها سنة ستة من الهجرة .

منتخب من كتاب أزواج النّبيّ ﷺ لمحمد بن الحسن زَبّالة ، رواية الزبير بن بكار [ص: ٥٥-٥٦] .

(١) انظر الإصابة [١١٨١٩] .